

أضواء البيان

@ 258 { إِنْ لَيْسَ بِهِ يُرْدُّهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } ، وفي الحديث : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) . { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } . ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الساعة التي هي القيامة لعلها تكون قريبًا ، وذكر نحوه في قوله في (الشورى) : { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } ، وقد أوضح جلَّ وعلا اقتربها في آيات أخر ؛ كقوله : { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ } ، وقوله : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } ، وقوله تعالى : { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } . { إِنْ لَمْ يَكُنْ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا } ، إلى قوله : { لَعَنَّا كَبِيرًا } .
تقدّمت الآيات الموضحة له مرارًا . .

7 ! 7 { إِنْ لَمْ يَكُنْ لَعَنَ السَّاعَةَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَأَبْيَنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا } . ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة ، وهي التكليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال ، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها ، أي : خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهنّ من ذلك عذاب اللّٰه وسخطه ، وهذا العرض والإباء ، والإشفاق كلّهُ حق ، وقد خلق اللّٰه للسماوات والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جلَّ وعلا ، ونحن لا بعلمه ، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها ، وأبت وأشفت ، أي : خافت . .

ومثل هذا تدلّ عليه آيات وأحاديث كثيرة ، فمن الآيات الدالّة على إدراك الجمادات المذكور : قوله تعالى في سورة (البقرة) ، في الحجارة : { وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَّا يَهْجِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } ، فصرّح بأن من الحجارة ما يهبط من خشية اللّٰه ، وهذه الخشية التي نسبها اللّٰه لبعض الحجارة بإدراك يعلمه هو تعالى . .

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى : { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ